

أسلوبية القصيدة الثورية في شعر محمد العيد آل خليفة
قصيدة الذكرى العاشرة لفاتح نوفمبر "أمودجا"

الطالبة: بطيب فاطمة الزهراء

الأستاذ المشرف/ عراب أحمد

جامعة الشلف/الجزائر

الملخص باللغة العربية:

تتناول هذه الورقة البحثية قراءة أسلوبية في قصيدة الذكرى العاشرة لفاتح نوفمبر للشاعر محمد العيد آل خليفة ملقبةً الضوء على الإيقاع الموسيقي وما فيه من بُحور وقافية، انتقالاً إلى الصور البيانية من تشبيه واستعارة، وصولاً إلى المظاهر التركيبية المتجسدة في النص الشعري .

الكلمات المفتاحية : الأسلوبية، الشعر، الإيقاع الموسيقي، الاستعارة، بنية الإيقاع.

الملخص باللغة الفرنسية:

Cet article traite de la lecture stylistique dans un poème du dixième anniversaire de la Lumière en Novembre du poète Mohammed Eid Al Khalifa, soulignant le rythme musical et de ses mers et la rime, une transition vers les images graphiques de l'analogie et de la métaphore, à droite vers le bas pour les caractéristiques structurelles contenues dans le texte poétique.

Mots clés: stylistique, poème, rythme musical, métaphore, Structure de rythme

تعد الدراسة الأسلوبية من أهم الدراسات التي استطاعت أن تشق طريقها وسط المناهج النقدية المعاصرة في مقاربتها للنص الأدبي على مستوى تشكل بنياته ومضامينه على حد سواء " وذلك بمحاولة استكشاف عالم النص الأدبي والنظام الذي تشكل فيه صياغته بحيث تصبح هذه الصياغة جزءاً جوهرياً في العملية النقدية، وبوسع النقد الوصول إلى هذه الكيفية بالمعاونات الأسلوبية في تفكيك الظاهرة اللغوية لإعادة تركيبها بعد كشف علاقاتها والنية الجمالية المبيّنة فيها"⁽¹⁾.

وانطلاقاً مما سلف غدت الأسلوبية طريقة لرصد مختلف التشكيلات الخطابية في النص الشعري بفضل ما تستثمره في استنكاه النص والتنقيب عن أسرارها الفنية والجمالية.

إذن وعليه الأسلوبية" محاولة منهجية تركز على فهم النص من خلال لفتها لإدراك علاقته الداخلية، وللكشف عن قيمة بنيته الفنية التي يتجلى فيها تحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية وهي تنحو منحى علمياً حيث أن معطيات موضوعها تتجوهر حول مادة مجردة هي اللغة"⁽²⁾.

أي أن المنهج الأسلوبية يسعى جاهداً إلى استنتاج الخطابات الأدبية مركزاً على جسدها اللغوي الذي يعتبر بمثابة المادة الخام التي تتمحور عليها الدراسة .

ويمكن القول أن " الأسلوبية ركزت بشكل أساسي على الأثر الذي تتركه اللغة في المتلقي "⁽³⁾.

"فهمة القارئ استكشاف بنى النص الداخلية وما فيها من انزياحات وتراكيب وأنماط صياغية من أجل إدراك ما في النص من دلالات وهذا ما يسميه ريفاتير مرحلة فهم النص وتدوقه من أجل الوصول إلى اكتشاف النص الداخلي تليها مرحلة التأويل وإعادة النص التحي"⁽⁴⁾، و ما تجدر الإشارة عليه هنا أن الخطاب الأدبي يحتاج إلى قارئ متمكن ليفك شفراته ومقاصده.

و نظرا للأهمية البالغة التي تشغلها الأسلوبية في الدراسات النقدية والأدبية، ارتأينا أن تكون هذه الورقة البحثية تهدف إلى قراءة أسلوبية للخطاب الشعري الثوري للشاعر محمد العيد آل خليفة من خلال الاقتصار على دراسة قصيدته الموسومة بالذكري العاشرة لفاتح نوفمبر.

أولا - الموسيقى الشعرية:

تمثل الموسيقى مكان الإبداع في النص الشعري، ولاسيما الشعر العربي حيث عدّ الكثير من النقاد هذا الجانب المدخل الذي يفتح شفرات النص الشعري، " فليس الشعر في الحقيقة إلا كلاما موسيقيا تنفعل لموسيقاه النفوس، وتتأثر بها القلوب" (5)، فالشعر متعة فنية وهذه المتعة تكمن في موسيقاه بجانبها " أولهما النظام الصوتي الخارجي المتجلي في الأوزان والقوافي، وثانيهما الإيقاع الخارجي وهو المرتبط بالنظام الهارموني الكامل للنص الشعري" (6).

وللبحث عن مكان الإبداع في نص الذكري العاشرة لفاتح نوفمبر استوجب علينا تقسيم موسيقاه الخارجية إلى نمطين: " نمط إيقاعي ثابت وهو الذي له ثبات موقعي في البيت ويشمل الوزن والقافية، ونمط إيقاعي غير ثابت وهو الذي لا يملك ثباتا موقعيا في البيت أو الجملة" (7).

1- الأنماط الإيقاعية الثابتة:

أ-الوزن:

" فالوزن هو كمية من التفاعيل العروضية المتجاورة والممتدة أفقيا بين مطلع البيت أو السطر الشعري ولآخره المقفى" (8)، يسعى إذن إلى " تجسيم الاهتزازات العاطفية وتحريك الخيال وإثارة الانتباه لمتابعة سماع الإنشاد" (9).
و عليه يعتبر الوزن من أعلق الأمور بالشعر وأشدّها ارتباطا به ومن أهم مقوماته.

إن دراسة التشكيل الوزني يفصح على أن البحر الطويل هو الذي نُظمت عليه القصيدة، وهو أحد البحور استعمالا في أشعار العرب، فالنقاد يرون أن " الطويل نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي، وإنه الوزن الذي كان القدماء يؤرثونه على غيره ويتخذونه ميزانا لأشعارهم ولاسيما في الأغراض الجنبلة الشأن" (10) فالعروض الطويل فيه بهاء وقوة" (11)، في كونه يساعد في التعبير عن الانفعالات المختلفة. ولتمثيل لذلك قول الشاعر:

نوفمبر قد وافى فأهلا ومرحبا بشهر ركبنا فيه مركبنا الوعرا
نوفمبر قد وافى الجزائر طويلا من الثورة الكبرى سنين لها عشر (12)

تقطيعه العروضي:

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن

فعول مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن

الأبيات التي تم تقطيعها تضم 16 تفعيلة، سبعة منها قد أصابها زحاف القبض في (فعولن) وتحولت إلى فعول في خمسة منها، والتفعيلتان (مفاعيلن) تحولت إلى مفاعلن، ولجأ الشاعر إلى الزحافات ليؤلّف الإيقاع ويخلق جوا تناغميا يتناسب مع الغرض الشعري، وهي " إحدى الوسائل التي تقضي على رتابة الشكل المنظم لتعاقب الحركات والسواكن" (13).

إن الشاعر في حديثه عن نوفمبر، فضل أن يعدد طرائق التنويع الصوتي فوزعه من أربعة تفاعيل الأصل منها (فعولن)، (مفاعيلن) والبدائل (فعولن)، (مفاعلن)، وهذا ساعد في نسج خيوط تجربته الشعرية كما مكنه أيضا في التعبير عن انفعالاته المتمثلة في مشاعر الفرحة بقدم شهر نوفمبر المبارك، لذلك استعان بالبحر الطويل كثير المقاطع للإفصاح عن خلجات نفسه الممزوجة بالفرحة والتمجيد لشهر نوفمبر.

ب- القافية:

يعتبر ابن رشيق القافية ركنا مهما في صناعة الشعر فيقول: " القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية " (14)، فهي الوجه الثاني من أوجه الإيقاع و عنصر مهم في موسيقى الشعر ولازمة من لوازمه ، في تضافرها مع المتغيرات الأسلوبية الداخلية لتمنح النص بعدا جماليا فنيا و إسهامها في إبراز دلالة القصيدة من خلال خصائصها التي ترتبط بالبناء العروضي ، ومن أبرز مظاهرها:

• حرف الروي:

من المعلوم أن حرف الروي هو الذي يبني عليه النص الشعري ، فاذا لاحظنا القصيدة نلمح تكرار حرف الراء في أواخرها، ويتبن ذلك في قوله:

نوفمبر وافانا فذكرنا الفدى وثورتنا العظمى وأعوامها الغبرا
نوفمبر وافانا فطينا شذى بذكري ضحايانا وضمخنا عطرا(15)

المتأمل للنص يرى الحضور المكثف لحرف الروي الذي تكرر على طول القصيدة وهذا التكرار ساعد على التدفق الموسيقي وزيادة النغم الصوتي وساهم في التأثير على المتلقي من خلال نبضاته الإيقاعية.

إن الصوت وهو يتكرر يمثل وسيلة بلاغية تعمل على تصوير الموقف وتجسيمه، فضلا عن الإيحاء عما يدل عليه ذلك الحرف ضمن الألفاظ من خصائص صوتية وطاقة تنغيمية ، مما يساهم في إبراز المعنى المراد تأكيده(16) .

• حركة الروي:

من المتعارف عليه أنه إذا تحرك الروي فإن القافية تكون مطلقة وسكونه يجعلها مقيدة، وقد شكلت القافية المطلقة ذات الروي المفتوح حضورها في القصيدة وما يوضح ذلك قوله:

نوفمبر جلى عن بلادي ظلامها نوفمبر في آفاقها الفجر (17)

وقوله كذلك:

ودع عنك أسباب التنازع واعتصم بميثاقك الثوري واشدد بع أزر(18)

المتأمل للقصيدة يرى كيف تحدث الشاعر عن نوفمبر الذي انطلقت فيه الثورة المباركة وقد اختار القافية المطلقة المتصلة بالألف وكان هذه الحركة الممدود في تكرارها تصور فخر وتعظيم الشاعر لنوفمبر.

2_ الأنماط الإيقاعية المتغيرة :

ويقصد بها الإيقاع الداخلي وما ينطوي عليه من ظواهر صوتية إيحاءية فعالة تعمل على كشف أحاسيس الشاعر ومقاصده من خلال رصد الأصوات والألفاظ والتراكيب التي يحتضنها النص.

ومن أبرز تلك المتغيرات الإيقاعية:

أ- التكرار:

"أسلوب فني تعبيرى، يصور حركات الذات الشعرية، ويكشف تصاعد الانفعالات فهو حافز صوتي، ومثير يعتمد على الحروف التي تكون الكلمة وعلى حركاتها، ومن ثم يحقق القيمتين معا الجمالية والنفعية وذلك استغلال فضاء القصيدة مبنى ومعنى وتشكلا وتوزيعا فينتج الإيقاع من خلال ذلك"(19).

يعني هذا أن ظاهرة التكرار لها قيمة فنية وجمالية في بناء موسيقى القصيدة.

وإذا تأملنا القصيدة نلاحظ طغيان ظاهرة التكرار " في شعره كتكرار المعنى الواحد في القصيدة أو القصائد أو تكرار كلمات بأعينها أو أشطار بذاتها عدة مرات ... وهذا التكرار قد يقصد به إلى توكيد المعاني وإعطائها صفة الحتمية والوجوب، وقد يقصد به إلى الاستثارة والحماس في نفوس الجمهور المستمع حتى يستحوذ على مشاعره ويحرز إعجابهم"⁽²⁰⁾.

ومن أمثلة ذلك في القصيدة قوله :

نوفمبر قد وافى على اليمن والبشرى بعاشر الذكرى لثورتنا الكبرى

نوفمبر قد وافى فأهلاً ومرحباً بشهر ركبنا فيه مركبنا الوعرا⁽²¹⁾

كرر الشاعر كلمة نوفمبر على طول القصيدة تقريبا لفرحته بالحدث، حيث وظفها توظيفا يساعد في ضبط النغمة الموسيقية التي تشد أذن السامع .

ونذكر أيضا تكرار الفعل وافى بصيغة المفرد وقصد به شهر نوفمبر وأورده بصيغة الجمع وقصد به نفسه والشعب الجزائري معا ، ويظهر هذا في قوله: نوفمبر قد وافى على اليمن والبشرى، نوفمبر قد وافى فأهلاً ومرحباً نوفمبر قد وافى الجزائر طاويا، نوفمبر وافانا فذكرنا الفدى، نوفمبر وافانا فطيننا شدى.

فتوظيفه للفعل وافى مفردا يقصد به نوفمبر وهو الموضوع المحوري للقصيدة حيث كرره ثلاث مرات لجلب انتباه القارئ ثم غير الصيغة إلى الجمع من أجل تبيان أهمية الحدث للشعب .

ب-الطباق:

ومن أمثله في قصيدته:

علمنا الإيمان والصبر والفدى وجلّ مقاما أن يعلمنا الكفرا⁽²²⁾

ومهما عثا بالبغي في الأرض مفسدا فلا ترض إلا أن تواريه البحر⁽²³⁾

ونحن رجال السلم إن رمت سلمنا ونحن جبال الحرب ان سمتنا نكرا⁽²⁴⁾

وظّف الشاعر هذه الثنائية التضادية لتوضيح المعاني، لأن بالأضداد يتضح المعنى لذا وجد الطباق وسيلة أسلوبية بلاغية لتوضيح المعاني وتمتينها حتى يسهل على المتلقي فهم ما يريده الكاتب .

ج-الجناس:

" وهو أن ينشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى"⁽²⁵⁾.

ومن أمثلة الجناس في قصيدة الذكرى العاشرة لفاتح نوفمبر ما جاء في قوله:

دعاة إلى الإسلام والسلم رحمة وعاة لما يوحى إليه به أمرا⁽²⁶⁾

وقوله أيضا:

ويسرت للعسرى عدوك نادما على حكمه الباغي وبشّرت لليسرى (27)

وقوله كذلك:

إذا جيشنا لاقى الفرنسيين ساقهم فلولا إلى قفر فكان لهم قبر (28)

فالجناس في هذه الأبيات وقع بين (دعاء، وعاء)، (للعسرى، لليسرى)، (قفر، قبرا)، فالاختلاف نلمحه في حرف واحد أدى بدوره إلى الاختلاف في المعنى وهذا ما يطلق عليه بالجناس غير التام بسبب اختلاف الألفاظ في نوع الحروف أو شكلها أو عددها أو ترتيبها.

وفي قوله:

إذا سامك المحتل قهرا بحكمه فلا ترض إلا أن تباريه قهرا (29)

فالجناس في هذا البيت وقع بين (قهرا، قهرا) فاللفظتان اتفقتا في المبنى والحروف واختلفتا في المعنى فهو جناس تام. نخلص إلى أن الجناس زاد القصيدة روعة وبهاء وأكسبها قوة في المعاني وروعة في اختيار الألفاظ دقة ومرونة.

ثانيا- أسلوبية الصورة البلاغية:

المتعمن للقصيدة يجد الصور البيانية وبكثرة نذكر منها :

أ- التشبيه:

" صفة الشيء بما قاربه و شاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة من جميع جهاته" (30) .

ومن صورته في القصيدة اعتماد الشاعر التشبيه باستخدام أداة الكاف ومن ومثال ذلك قوله:

وثبنا عليها كالنمور جراءة وثرنا كأسد الغاب نرعبها زارا (31)

شبه الشاعر المجاهدين في الثورة بالنمور القوية في الشطر الأول، أما في الشطر الثاني شبههم بالأسد الذي يمتاز بصفة القوة والشجاعة، ففي هذين الصورتين التشبيهيّتين أراد أن يمرر رسالة مفادها أن الشعب الجزائري شعب قوي وشجاع في ميدان التحرير.

برع الشاعر في التشبيهات ، لأنه تمكن من تقريب البعيد وإظهار الخفي بتصوير رائع.

ب- الاستعارة:

"لفظ مفرد استعمل في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنيين مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي" (32).

ومن أمثلتها في القصيدة قوله :

نوفمبر قد وافى فأهلا ومرحبا بشهر ركبنا فيه مركبنا الوعرا (33).

نلاحظ في البيت استعارة مكنية، حيث شبه الشاعر نوفمبر بالإنسان فحذف المشبه به وأبقى على لازمة من لوازمه وهو الفعل وافى لدلالة على ذلك ، ويبرز جمال الاستعارة من خلال هذا البيت في كون الشاعر جعل نوفمبر في صورة محسوسة مجسدة يقع عليه فعل المجيء وكأنه إنسان.

يمكن القول أن الاستعارة تظهر قدرتها في تصوير المعنوي في صورة محسوسة وتكشف ماهيته وكنهه.

ثالثا - أسلوبية التركيب :

أ-الانزياح التركيبي:

هو خروج التركيب عن الأصل الذي تقتضيه قواعد اللغة فيتحول التركيب الجديد إلى سمة أسلوبية بارزة في الخطاب الشعري ،والمبدع هو الذي يستطيع بناء عناصر لغوية تتجاوز إطار المؤلفات ،فيفضي ذلك " إفران الصورة الفنية المقصودة ،والأفعال المقصودة " (34)

ومن صور الانزياح التركيبي في الخطاب الشعري :

• التقديم والتأخير :هو " ظاهرة أسلوبية ،تعني تغيير ترتيب العناصر التي يتكون منها البيت ،بمعنى العدول عن

الأصل العام الذي تقوم عليه بناء الجملة العربية والتشويش عليها" (35)

ومن أبرز صور التقديم والتأخير التي أثارت اهتمامنا في الخطاب الشعري عند محمد العيد آل خليفة ،تقديم الفاعل عن الفعل ومثال ذلك قول الشاعر :

نوفمبر وافانا فذكرنا الفدى وثورتنا العظمى وأعوامها الغبرا (36)

فالشاعر في التركيب السابق يظهر اهتمامه بالفاعل أكثر من اهتمامه بالفعل والترتيب المؤلف للجملة(وافانا نوفمبر فذكرنا الفدى)،فخص الشاعر (نوفمبر) بشيء من الاهتمام قدمه على أنه مبتدأ بل على أنه فاعل "لأن تحويله من كونه فاعلا إلى كونه مبتدأ يذهب ما طرأ عليه من معنى وهو بتخصيصه ومنحه الاهتمام " (37)

ب-الالتفات:

" وهو العدول عن أسلوب الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"(38).

ورد الالتفات في القصيدة ،ومن صور الالتفات عن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم ويتجلى ذلك في قوله :

نوفمبر قد وافى على اليمن والبشرى بعاشرة الذكرى لثورتنا الكبرى(39)

ثم قوله:

نوفمبر قد وافانا فذكرنا الفدى وثورتنا العظمى وأعوامها الغبرا (40)

عدل الشاعر عن ضمير الغائب "هو" في البيت الأول إلى ضمير المتكلم "نحن" في البيت الثاني لدفع الملل وكسر الرتابة من جهة، ومن جهة أخرى هذا الانتقال من المفرد الغائب إلى الجمع المتكلم دليل على أن الشاعر أراد أن يشرك الشعب الجزائري بما يحسه من مشاعر تعظيم اتجاه الحدث ، وهذا ما عكس صدق التجربة الشعرية.

خلصت في نهاية البحث إلى:

- 1- ميل الشاعر نحو التقليد والتراثية العروضية.
 - 2- الإكثار من الجناس والطباق لإعطاء دفعة موسيقية داخلية قوية.
 - 3- توظيف ظاهرة الالتفات.
 - 4- غلبة الاستعارة على التشبيه في تشكيل الصورة عند الشاعر .
- وعليه فشعر محمد العيد مادة شعرية غزيرة بحاجة إلى من يقرأها ويدارسها ويفهمها.

الهوامش البحث :

- 1- البلاغة الأسلوبية محمد عبد المطلب، طبعة مكتبة لبنان،دم، ط1994، 3م، ص 185.
- 2- الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، موسى رابعة دار الكندي، الأردن، ط1، 2003م، ص 7.
- 3- اللسانيات وتحليل النصوص، رابح بوحوش، دار الكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث ، عمان، ط 1، 2008م، ص 58.
- 4- البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي، مها فواز خليفة، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية،دم، ع4 ، مج 1، 2009م، ص 349.
- 5- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط3 ، 1965م، ص 17.
- 6- دراسة أسلوبية في ديوان أعراس لمحمود درويش، يحي سعدوني، رسالة ماجستير، المركز الجامعي أعلي محند أولحاج، البويرة 2008-2009م ص54.
- 7- البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي، المصدر السابق ، ص 350.
- 8- فلسفة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، دار الأعلام الثقافية والتراث الوطني،البحرين ط2006، 1م، ص53.
- 9- البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي ،المصدر السابق، ص350.
- 10- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس ،ص 191.
- 11- البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي ،المصدر السابق، ص350.
- 12- الديوان، محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر ، دط، 2010م، ص 400.
- 13- البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي،المصدر السابق ، ص351.
- 14- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح : محمد عبد القادر، أحمد عطار، دار الكتب العلمية، بيروت ، دط، 2001م، ج 1 ص 159.
- 15- الديوان، محمد العيد، ص:400.
- 16- ينظر البنى الأسلوبية في شعر النابغة الجعدي، المصدر السابق ، ص 353.
- 17- المصدر السابق، ص400.
- 18- المصدر السابق، ص402.
- 19- أوزان الشعر بين المعيار النظري الواقع الشعري، ناصر لوحيشي، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ط 2011، 1م، ص 227.
- 20- محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، أبو القاسم سعد الله، دار المعارف، مصر، ط 1968، 2م، ص 217.
- 21- الديوان، محمد العيد، ص: 400.
- 22- المصدر نفسه، ص: 400.
- 23- المصدر نفسه، ص: 402.
- 24- المصدر نفسه، ص: 402.
- 25- البلاغة الواضحة (البيان، المعاني، البديع)، علي الجارم مصطفى أمين، مكتبة النور الإسلامية، الصومال دط، دت، ص 363.
- 26- الديوان، محمد العيد، ص: 401.
- 27- المصدر نفسه، ص: 402.
- 28- المصدر نفسه، ص: 400.
- 29- المصدر نفسه، ص: 401.
- 30- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، دار الجيل،بيروت لبنان، دط، 1981، ص 286.
- 31- الديوان، محمد العيد، ص402.
- 32- الوافي في تيسير البلاغة ، محمد الشيخ ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة مصر ، دط، 2004 ، ص22
- 33- الديوان ، المصدر السابق، ص400.

- 34- الأسلوبية وتحليل الخطاب ، نوردين السد ،دار الهومة ،الجزائر ،دط،1997،ج1،ص169.
- 35- الأسلوبية الرؤية والتطبيق ،يوسف أبو العدوس ،دار المسيرة للنشر والتوزيع عمان ،ط1،
- 36- الديوان ،المصدر السابق ،ص400
- 37- في النحو العربي قواعد وتطبيق ،مهدي المخزومي ،دار الرائد العربي ،دم،دط،دت،ص167.
- 38- أساليب البديع في البلاغة العربية معاصرة، شفيح السيد، دار غريب لطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة دط، ،دت، ص 74.
- 39- الديوان، مصدر السابق، ص400.
- 40- الديوان، مصدر السابق، ص400.